

الفقه الاستراتيجي في القرآن الكريم: دراسة وصفية

Strategic Jurisprudence in The Holy Quran: an descriptive study

إعداد الباحث: إخلف وسعيد: موظف بوزارة التربية الوطنية، المملكة المغربية، وباحث في
دكتوراه فكر الإصلاح والتغيير في جامعة شعيب الدكالي، الجديدة، المغرب

Prepared by: Ikhlef ousaid: An employee at the Ministry of National
Education, Morocco

البريد الإلكتروني: islamousaid2017@gmail.com

الملخص:

يهدف البحث إلى الكشف عن الفقه الاستراتيجي في القرآن الكريم، وبيان بعض تجلياته المعرفية، التي يرتبط فيها هذا الفقه بحياة الإنسان في عز الأزمات والنكبات، وتأكيد حاجة الإنسان في هذا العصر إلى هذا الفقه، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر قانون تدبير للموارد والمسخرات، ورؤية تفعيل فقه الأولويات، وتقديم الأهم المناسب للمرحلة، ورؤية تفعيل المقاصد والعلل الشرعية والكونية؛ كل هذا لتحقيق حفظ الإنسان في وجوده الحضاري والحياتي.

وقد اعتمدت الدراسة منهجا معرفيا تحليليا تقر ما أقره القرآن من منهجية معرفية في عملية تحريك الوعي الإنسان نحو إعادة ربط الدين والفقه بالحياة.

أما من حيث النتائج التي توصل إليها البحث فهي: كون القرآن في تشريع قانون التدبير للوضعيات المختلفة والمتعددة، والحلول للمخاطر والأزمات؛ كل هذا يفسر ويؤكد، ما يزال ينعش به القرآن مستويات العيش البشري بمعارف وعلوم وفنون، أغنت عند الحاجة وحققَت المَراد عن الإجابة لأسئلة الأوضاع الصعبة.

الكلمات المفتاحية: الفقه، الاستراتيجيات، التدبير، المقاصد، الأمن.

Abstract:

The aim of the research is two-fold. The first objective is to discover the strategic Islamic jurisprudence existing in the Sacred Quran as well as elucidating some of its cognitive manifestations in which the aforementioned jurisprudence is connected with humans in the midst of their crisis and calamities. Concerning the second objective, the research highlights the prominent role this jurisprudence plays in the lives of humans nowadays as it provides them with legislative instruments including the law of resources' management, the vision of activating the jurisprudence of priorities, providing the most important and the efficient for each particular period, and the vision of putting into action the ethical and the tangible “makassid” (the objectives) and “ilal” (arguments), to list a few. All of

this aims at realizing humans' continuation reflected in the preservation of their lives and civilization.

The study has adopted an analytic cognitive methodology. It confirms what the Quran approves regarding the cognitive methodology in the process of activating humans' conscience in order to connect religion and jurisprudence with life's daily situations.

Concerning the research results, it has been found out that the Quran plays different roles in the lives of humankind. To begin with, the Qur'an is considered the main source vis-à-vis the legislation process for the management of the numerous and the different life's situations; the Quran also finds out solutions for crisis and hazards. To add, the Qur'an is continuously legislating for what revives humankind's living standards by enriching them through enhancing knowledge, science, and arts which have the ability to meet human needs, and which can also find answers for different questions dealing with emerging issues and difficult situations.

Keywords: jurisprudence, strategies, management, objectives, security.

المقدمة:

إن القول القرآني، بفضل ما اختص به من خصائص، وبما امتاز به من مميزات معرفية ومنهجية حضارية ذات أبعاد ابستمولوجية ممتدة الآفاق، وباعتباره كتاباً للإنسانية، ومنهجاً متكاملًا، ومن حيث ما قدمه من تقريره لمقومات الفعل الحضاري ووسائل التمكين للإنسان في الأرض، وقوانين الوجود الأنطولوجي، بما فيها قانون التدبير للوضعيات المختلفة والمتعددة والحلول للمخاطر والأزمات، كل هذا يفسر ويؤكد، ما يزال ينعش به القرآن مستويات العيش البشري بمعارف وعلوم وفنون، أغنت عند الحاجة وحققَت المراد في الإجابة عن أسئلة الأوضاع الصعبة، ما يدل على المنطق الاستراتيجي الذي تضمنه القرآن وما وضعه للإنسان قصد التدبير والتأمل والتوجيه والإرشاد والاهتداء إلى أحسن سبيل وأقوم طريق.

يأتي الحديث عن الفقه الاستراتيجي القرآني في سياق ما تعانيه البشرية اليوم من تخطيط في العيش، و من أزمة في القيم التي ورثها العقل الإنساني عن الحداثة العمياء التي زودت الإنسان بالقلق والحيرة والتهيه والضلال، والتي أفقدته الصواب والرشد، وعمقت في ذهنه القلق الوجودي بسبب الإعراض عن رب السموات والأرض، وبتوظيفها لمناهج فلسفية جردت العقل من الأصل الغيبي نحو الأصل المادي، ومارست قواطع ابستمولوجية بين قيم السماء وقيم الأرض وفصلت بين العالم الغيبي والعالم الأرضي، واستمرت في تأليه الفرد وإنتاج الإنسان ذي البعد الواحد.

مشكلة الدراسة:

إن الفقه الاستراتيجي الذي سطره القرآن في مختلف عناصره المعرفية وآلياته الدلالية والمنهجية؛ يؤكد أن الركن الأساس في الوجود، هو الإنسان نفسه، وأن الله سخر له كل المخلوقات لخدمته عبر قانون التسخير والتطوير لأداء الأمانة الكبرى التي هي أمانة العبادة والتدين، وهي الأمانة التي أبت السماوات العظام والأراضي الشاسعة على حملها. لذلك فعلماء الفقه والأصول في استقرارهم للشريعة وجدوا أن الغايات التي يدور عليها خطاب الله هي حفظ مصالح العباد في المعاش والمعاد. يقول الإمام الشاطبي رحمه الله مبيناً: «أن وضع الشارع إنما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل معاً»¹، قال الله تعالى: «إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا» [الأحزاب: الآية 72]. ونصوص الشرع موضوعة لمناسبة البشر في سائر التحولات، وفي الأحوال المتقلبة للعمران والإنسان، سايرت أطواراً مختلفة، وأنتجت بفضل تفاعلها مع الواقع والعقل معارف شملت سياقات متنوعة، من القيمة القيمية ومركزيتها والتكامل بينها والجوانب المعرفية والاقتصادية والسياسية... ما يمكن لنا كشف أصالة القيم، ومركزية الأخلاق الرؤية في القول القرآني والتنزيل النبوي. وبالتالي تبين لنا مجموعة من الآيات في القول القرآني، عن أن ثمة أساسات تبقى ذات جوهر حضاري في عز كل الأزمات والشدائد، وفي زمن المحن المتعددة. وهذا الفرق رهان الأمة في كل اللحظات.

تساؤلات الدراسة:

يسعى البحث إلى الإجابة على التساؤلات التالية: فما هي أسس فقه الاستراتيجيات في القرآن الكريم؟ وما تجلياتها؟ وإلى أي حد تناسب هذه التجليات الوضع الإنساني الحالي في تجاوز الأزمات؟.

¹ - أبو اسحاق الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، طبعة 1428هـ / 2007م، الجزء الثاني، ص 5.

منهج الدراسة:

أما منهج الدراسة يتحدد انطلاقاً من موضوع البحث، وهو عبارة عن دراسة وصفية تحليلية لمختلف الآيات التي ذكرت الفقه الاستراتيجي صراحة أو ضمناً، فقد قمت بتحليل مجموعة من الآيات بما يناسب منهجية البحث.

أهداف الدراسة:

نريد أن نخصص الحديث في هذه الورقات عن بعض الأحكام والحكم والمقاصد الحضارية التي سطرها القرآن الكريم في مختلف الآيات، والتي تنفع الإنسانية في هذا الزمان خاصة ما بعد هذه الأزمة التي اجتاحت العالم، والتي سميتها بفقه الاستراتيجيات، اهداء بالموضوع نحو القراءة الجديدة للآليات التي وضعها القرآن للتفاعل مع السياق المعاصر، كثيرة هي الاستراتيجيات التي تضمنها الوحي الكريم، لكن هذا لا يمنعنا أن ندلو بدلونا لكشف النقاب عن بعضها، وحسبنا ما جادت به قريحتنا.

أولاً: التدبير المحكم للموارد

إن منطلق هذا العنصر هو مجال الكون وما يزخر به من آيات معرفية متكاملة يحكمها نظام وإتقان في الصنعة والإبداع، والمسوغ الذي يحكم على استدعائه ضمن مجالات المعرفة بمختلف تجلياتها هو الحالة التي تعيشها البشرية اليوم من العبث في الاستغلال السيء للموارد والعناصر الكونية من ظهور وانتشار لحالات من الفوضى والفساد والإعتداء عليها جراء الإسراف. والشرع الحنيف قرأنا وسنة وضع ضمن ما وضع استراتيجيات التنمية الحضارية والبيئية.

وهي من استراتيجيات عملية تقبل التجدد عبر المراحل المتعددة ما دام الإنسان باقياً على هذه الأرض، وبين عبر هذه الآيات السنن الماضية في الأولين والأقوام السابقة، أخذنا من ذلك العبر والعظات والدروس المعرفية والدلالات، على أن التدبير في الموارد والحفاظ عليها، والانتفاع بها وفق منهج الوسطية والاعتدال سبب بقائها، وأن استغلالها بالتبذير والإسراف سبب الأزمات وذلك بنهايتها وفنائها، فكم من نعمة من نعم الله وكم من آله، فقدت وانقرضت بفعل التدخل الإنساني المهلك، قال الله تعالى: «لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسَاكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي

وَأَيَّامًا آمِنِينَ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَرَفَأَهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ» [سبأ: 15-19].

فقد بين القرآن الكريم، الكون على أنه مجال خاضع لسنن الله التي لن تجد لها تبديلا ولا تحويلا، كما أوحى للإنسان أنه قادر على معرفة تلك السنن ودعاه ليقوم بدور الاستخلاف في الأرض، وممارسة مهمة الإعمار.

وفي الفقه الاسلامي ظلت مثل هذه المواضيع محدودة الطرح وقليلة النقاش وضعيفة التأليف، ومنعدمة الذكر إلا ما تم نقاشه في ما له علاقة بإحياء الأرض الموات في الفقه الإسلامي وما له علاقة بالمزارعة والمغارسة والجمالة في كتب الفقه، وفي بعض البرامج السياسية للحكومات والمشاريع الضعيفة في المجتمعات العربية لاتزال ضعيفة الذكر، رغم أن القرآن الكريم حقق القول في عناصر الكون: من أراض وجبال وسماء وبحار ومياه وسموات وأشجار وفواكه وزروع وثمار وحيوانات وسائر المخلوقات...، ضمن آيات كثيرة في كتابها المنظور داخل كتابها الأصلي الذي هو الكتاب المسطور، مع الدعوة المتكررة نحو التأمل والتفكير والإبصار والتدبر، والنظر فيما تعانيه من إشكالية التنزيل والممارسة.

ففي الفقه الاسلامي والفكر الإسلامي عموما هناك توجس عن النقاش في القضايا المستقبلية اعتبر أكثر تأثير على الدراسات الاستراتيجية في العالم الإسلامي⁽¹⁾، وبالتالي اعتبار ذلك من المحرمات عند البعض، الأمر الذي جعل العقل يمتنع عن ذكره في المصنفات والكتب التراثية، لكن أمام التحديات الحضارية التي تعرفها المجتمعات أصبح الرهان كبيرا أمام صانعي القرار من السياسيين والمفكرين والاقتصاديين وعلماء الاجتماع والنفوس وعلماء الفقه والشريعة والدين ككل، من أجل التدبير الجيد وتحكيم الرؤية وإتقان التخطيط برؤية كلية تكاملية وتعاونية بين سائر الأطراف والمسؤولين وكل الفاعلين، ووضع قضايا تستشرف خلالها المستقبل وتفهم التحولات التي يمكن أن تتحكم فيه، انطلاقا من فهم الماضي وأخذ العبرة منه والعمل في الحاضر استشرافا للمستقبل، والربط بين هذه العناصر الزمانية الثلاثة وإقامة جسر التواصل وممارسة الوصل لا الفصل والخيط لا القطع والربط برباط الرؤية القرآنية، لأن القرآن الكريم في

¹ - "إن الفراغ الذي تركته الدراسات الاستشرافية والمستقبلية الإسلامية، مثل نقطة جذب للمؤسسات الدولية ومراكز الأبحاث الغربية، التي تنطلق في رؤيتها للمستقبل من منظور حضاري غالبا ما يستند في رؤيته للأخيرة للمركزية الغربية، ومن هنا جاء موقع العالم الإسلامي ضمن " النماذج العالمية" هامشيا، حيث لم تتعامل النماذج مع العالم الإسلامي ككتلة واحدة، تجمع بينها روابط الدين والتاريخ والاتصال الجغرافي والحضارة المشتركة، كما تجاهلت الزخم النسبي الذي حققه العالم العربي والإسلامي في مجال العمل المشترك"، فؤاد بلمودن: المستقبل الحضاري للأمة الإسلامية، دراسة في البدائل والتحديات، مركز ابن غازي للأبحاث والدراسات الإستراتيجية، مطبعة المعرفة الجديدة، الرباط، السنة 2019، ص 209.

حديثه عن الماضي دائما يرشد الإنسان نحو أخذ الموعظة والإفادة والدرس من سنن الأولين وما يحيط بهم من أحوال وتقلبات في العمران.

ولأن الملاحظ أيضا في الذات الإسلامية هو عدم وجود المنهجية المعرفية والعلمية في تحديد الأهداف وفق تصور صحيح، « فمهمة الوعي بالمستقبل تتركز على تحويل علم المستقبل من تخرصات وظنون ونبوءات خرافية إلى علم له أساساته المنهجية، وتكوين إرادة التغيير والمدافعة الذاتية لتحديات المستقبل »¹؛ لأن تجاوز التحديات التي تعيشها الأمم تفرض التفكير العميق في إعادة الإصلاح والتغيير والإحياء من جديد وقراءة المستقبل وأن هذا المستقبل الحضاري الإسلامي في هذا الزمان « لا بد أن يستند إلى قواعد راسخة ومتينة تتمثل في العمل على التجديد الشامل والعميق الذي يشمل إعادة بناء الرؤية الإسلامية للإنسان والكون والزمن، والعمل على تجديد الأساليب التي يتوسل بها في الحياة العامة، تحقيقا للمصلحة مع العصر، ووقف حالة الهروب أو الهجرة التي يباشرها العقل المسلم المعاصر، إما نحو التاريخ بوصفه منطقة آمنة، أو نحو حادثة مستوردة بقدر ما تحقق إشباعه المادي، تفاقم من أزمتة الحضارية وظمئه الروحي وتزيده رهقا »².

ومن شروط الإصلاح؛ البناء للمستقبل وكل أمة غابت عنها رؤية المستقبل لا يمكن لها أن تحقق النجاح لأن البناء أصلا يكون للمستقبل، من هنا تتأكد قيمة المستقبل ويتبين دوره، « كما تبرز أهمية الوعي المستقبلي في فهم وإدراك طبائع السنن التغييرية والتحوليات الإنسانية وتصحيح المفاهيم الخاطئة عن المستقبل وإهمال التعامل مع تحدياته. وهذا التحفيز الذهني لاستشراف المستقبل سيدعو إلى المشاركات الجماهيرية في عمليات التغيير وتكوين فرص التأهب الاجتماعي استعدادا للمستقبل بدلا من ترقب وقوع المشكلات بصورة مفاجئة »³.

باعتبار الفقه وأصول الفقه وعلم التفسير في الخطاب الديني، أحد وأبرز العلوم التي لها علاقة مباشرة بالوحي الإلهي عبر استنتاج معانية واستمداد مقاصده وتنزيل استراتيجياته، فالمهمة تظل صعبة على هذه العلوم في البحث عن الأجوبة المناسبة والشفافية للواقع وتقلباته، إنطلاقا من الآليات العقلية التي تربط بين

¹ - مسفر بن علي القحطاني: سؤال التدبير، رؤى مقاصدية في الإصلاح المدني، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2014، ص 277.

¹ - المرجع نفسه، 277.

² - فؤاد بلمودن: المستقبل الحضاري للأمة الإسلامية، دراسة في البدائل والتحديات، مركز ابن غازي للأبحاث والدراسات الاستراتيجية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2019، ص 7.

³ - مسفر بن علي القحطاني: سؤال التدبير، ص 277- 288.

النص والواقع، من الاجتهاد والتجديد والإصلاح. « هذه بعض البنى المهمة في الوعي المستقبلي ينبغي أن تتحقق كأرضية صلبة لأي مشروع استراتيجي يراد له النجاح في واقع حياة الناس، وهي لا شك رؤية فكرية وثقافية تنطبع تلقائيا في سلوك الفرد الواعي باستشراف المستقبل، عندما يفكر في دراسة وتكوين أسرته وتأمين كفايته المادية وأحلامه الحياتية، وبالتالي تتشكل لنا نخبا واعية ترفض العودة إلى تجارب الماضي ما لم تثبت معطيات الحاضر جدواها وتحليلات المستقبل فاعليتها»¹

وسنة التحول لم تستوعبها المجتمعات العربية والإسلامية بقدر ما تؤمن بها من حيث الوجود، ولا تعمل لأجلها على مستوى التدبير وحسبها فقط من الزمان ولا تعدها من الحضارة، ولم يهتدوا في ذلك بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، الذي كان يضع استراتيجيات انطلاقا من الوحي الكريم في استشراف المستقبل الحضاري لربح الرهان،

وإن المتتبع لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، يجد نماذج كثيرة ومواقف متعددة جسد من خلالها فقه الاستراتيجيات الحضارية القرآنية، انطلاقا من حساب الزمان، ومن ذلك على سبيل التمثيل لا الحصر، وثيقة المدينة التي ضمن من خلالها المدينة وكسبها، وذلك من خلال حفظ الحقوق والأعراض للناس والتعارف والتواصل الإنساني، ومن دمج أهل الكتاب فيها خاصة اليهود، ومما يمكن الاستفادة منه؛ تدبير السلم ودفع الحرب وبناء الصف الداخلي للمدينة وممارسة التعايش ونشر التسامح والتواصل على أكبر قدر وأحسن امتداد؛ فهذا تخطيط ناجح في أعلى مستوياته، حيث استطاع عليه السلام الحفاظ على حقوق الناس، كما ما للهجرة من تخطيط في تغيير الأوضاع والأحوال وتوظيف استراتيجي ناجح للعمل وفق فقه المكان فالنبي صلى الله عليه وسلم أفقه الناس لمجاليه ومناخه الذي يعيش فيه، وأعلم الناس لعلوم التحول ولعلوم الجغرافية،

كما يمكن هنا أن نذكر أيضا نماذج ومواقف أخرى سجل من خلالها الرسول صلى الله عليه وسلم بطولات وانتصارات من خلال الفقه الاستراتيجي، مثل حدث صلح الحديبية، وهو الحدث التاريخي الذي يبين معاني النضج الفكري للفقه الاستراتيجي للإسلام، وللتدبير القرآني، كما يجسد المعاني السامية والدلالات الحضارية التي جاء بها الإسلام، فهذا الصلح فيه معاني السلم والسلام والتواصل الإنساني في أرقى معالمه حيث يكمن ذلك في الأساليب الاستراتيجية التي تعلمها الرسول صلى الله عليه وسلم من القرآن الكريم؛ مثل التفاوض والتشاور والحوار والتواصل لمقاصد جليلة وغايات كثيرة منها منع الحرب ووقف العنف وسفك الدماء، تلك معالم الدين الإسلامي الراقي الذي تبني المجتمع الاستخلافي والعمراني.

¹ - المرجع السابق، ص 278.

والإنسان محتاج لفهم وتدبر فقه التحول والتدبير في كل الأزمنة والأوقات خاصة في زمن الضعف والانتكاسة؛ لأن الله أرشد كثيرا إلى هذا الفقه الغائب في العقل الإسلامي مع العلم أن له جذوره المعرفية والمنهجية في القرآن والتي تتطلب الاجتهاد والتدبر والتفكير، « والله أعطى الإنسان من وسائل التحويل لما حوله مقداراً كبيراً وقوة حسية ومعنوية أكبر من تقديره غالباً، وهو أقل تقديراً لقوته وقدرته – وبخاصة في زمن الخمول والضعف ونقص الثقة- ويرى في ظروف الانكسار رأياً يحقر فيه نفسه، ويحقر فيه قيمة جهده ومستقبل أمره، وعميق أثر عمله، ولكن لله في الكون سنة تجعل أثر الإنسان أكبر من تقديره، ونتاج عمله يتضاعف بطريقة فوق تصوره ويحقق الله في ذلك سنة (وإنا لموسعون)، فوعي الإنسان غالباً مرتبط بظرفه »¹.

ولفهم منطق السنن يمكن إدراك المستقبل عبر فهم التحولات التي تتحكم في الأحكام والمقاصد والوسائل، «إن بؤرة الرؤية المستقبلية ونقطة الإنطلاق الأساس في النهوض وإبصار المستقبل من خلال مقدماته، أو التمكن من تشكيل المستقبل والمداخلة في بنائه، إنما تتحقق من خلال اعتماد المنهج السنني، ومحاولة الكشف عنه وملاحظة اطراده في الحياة، ومن ثم تأتي مرحلة التسخير والقدرة على المداخلة في المقدمات من خلال القانون ذاته»²، لأن فهم المستقبل وفق استراتيجيات علمية ومنهجية مستنبطة من القرآن يسهم بشكل كبير في الوعي به أولاً وبقيمته ثانياً على مستوى وجوده الحضاري كزمن له دوره في الحضارة وبناء الثقافة، كما أن لذلك غايات ومقاصد حضارية والتوسع في فهمها وتنزيلها وتطبيقها يثمر فعالية هذه المقاصد التي تتجلى في:

«- تحويل علم المستقبل من تخرصات وظنون وتنبؤات خرافية إلى علم له أساساته المنهجية.

- فهم طبائع السنن التغييرية وإدراكها والتحويلات الإنسانية.

- تكوين إرادة التغيير والمدافعة الذاتية لتحديات المستقبل.

- تصحيح المفاهيم الخاطئة عن المستقبل و التعامل مع تحدياته.

¹ - محمد بن حامد الأحمدى: ملامح المستقبل، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الطبعة الثالثة، 2010، ص 27.

² - الياس بلكا: استشراف المستقبل في الحديث النبوي، كتاب الأمة، سلسلة دورية بدولة قطر، الطبعة الأولى، رجب 1429 هـ / غشت 2008م، ص 12.

- التحفيز الذهني للمشاركة الجماهيرية في عمليات التغيير وتكوين فرص التأهب الاجتماعي استعدادا للمستقبل بدلا من ترقب وقوع المشكلات بصورة مفاجئة.¹

ثانيا: رؤية تفعيل الرخص لتجاوز الشدائد والمخاطر:

إن الإسلام قدم رؤى حضارية ومستقبلية لوضع خطط واستراتيجيات معرفية عملا وتشريعا لفقه اللحظة أو الفقه المستقبلي، ومن ذلك ما سنه من الرخص التي اعتبرها جزءا من العبادة يحتاجها المسلم في اللحظات العسيرة والصعبة، والعقل الإسلامي اليوم أكثر حاجة وإلحاحا إلى إعادة النظر في هذا النوع من الفقه في مناسبات كثيرة لكي لا يعيش المسلم أو الإنسان بصفة عامة في ضيق وحرَج، ومن ذلك مثلا ما ذكر به القرآن من قصر الصلاة في السفر أو عند حصول الحرب أو الخوف.

فقد شرع الإسلام هذا المبدأ حفاظا على الأنفس وحماية لها من المخاطر قال الله تعالى: « وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَدَى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا » [النساء: الآية 102]، ومن ذلك أيضا إباحة بعض المحظورات عند الضرورات، التي قصد الشارع من خلالها الحفاظ على الأنفس من الزوال، كأكل الميتة أو شرب الخمر عند الضرورة قال الله تعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » [البقرة: الآيات 172-173]..

هذه الرخص الشرعية هي التي تمكن من تطبيق بعض الأحكام، كما تعني أيضا التنازل الشرعي عن بعض الأحكام في فترات معينة من الزمن لبعض أصحاب الأعداء، ويكون ذلك في العبادات. ومن مميزاتها أنها رؤية قرآنية مناسبة تدل على صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان، وتغيير الفتوى بتغير الأعراف والأحوال والعبادات كما قرر علماء الأصول في مصنفاتهم من تلك القواعد، كما أنها تدل على سماحة الإسلام ويسره واعتداله في كل جوانبه.

والمسلمون مطالبون دائما بتفعيل رخص دينهم، وعدم تركها لأنها تدل على حفظ الله سبحانه للمكلف الإنسان والعمل بها فيه طاعة الامتثال، كما « أن ترك الترخص مع ظن سببه قد يؤدي إلى الانقطاع عن

¹ - مسفر بن علي القحطاني: سؤال التدبير، رؤى مقاصدية في الإصلاح المدني، ص 287.

الاستباق إلى الخير، والسّامة والملل، والتنفير عن الدخول في العبادة، وكراهية العمل، وترك الدوام. وذلك مدلول عليه في الشريعة بأدلة كثيرة. وربما عجز عنه في بعض الأوقات فإنه قد يصبر أحياناً وفي بعض الأحوال، ولا يصبر في بعض والتكليف دائم. فإذا لم يفتح له من باب الترخّص إلا ما يرجع إلى مسألة تكليف ما لا يطاق، وسد عنه ما سوى ذلك، عد الشريعة شاقة»¹

وذلك كلما حلت بالناس حاجة أو جائحة من الجوائح أو مرض من الأمراض أو عذر من الأعذار، لكي لا يعيش المسلم في مشقة وعسر، وتكون بتفعيل جهاز الاجتهاد والتجديد لفقه الواقع وفقه التنزيل الذي يعد من الآليات التي تربط النص بالواقع الحضاري للمسلمين في كل أماكن الأرض، ومن فهم للسنن الحضارية والإنسانية التي دعا الشرع الحنيف إلى التأمل فيها، وهذه الرخص تعد استراتيجيات شرعية وخطط تعبدية صحيحة وضعها القرآن الكريم لاستمرار التدين وممارسته على أرض الواقع، وتحقيق مقاصده الأولى وغاياته الكبرى المنسجمة مع البناء الحضاري.

والأمة في حاجة إلى تفعيل هذه الاستراتيجيات خاصة في زمن التحولات الحضارية التي تقع في العالم، خاصة مع المسلمين في غير بلدانهم الأصلية تفعيلاً لفقه الأقليات، وإعادة النظر في ذلك باستمرار، كما قال الإمام الشاطبي رحمه الله في الموافقات: «والرخصة راجعة إلى جزئي بحسب بعض المكلفين ممن له عذر، وبحسب بعض الأحوال وبعض الأوقات في أهل الأعذار، لا في كل حالة ولا في كل وقت، ولا لكل أحد. فهو كالعارض الطارئ على الكلي. والقاعدة المقررة في موضعها أنه إذا تعارض أمر كلي وأمر جزئي، فالكلي مقدم؛ لأن الجزئي يقتضي مصلحة جزئية، والكلي يقتضي مصلحة كلية. ولا ينخرم نظام في العالم بانخراط المصلحة الجزئية؛ بخلاف ما إذا قدم اعتبار المصلحة الجزئية، فإن المصلحة الكلية ينخرم نظام كليتها»².

ثالثاً: فقه الأولويات وتقديم الأهم المناسب للمرحلة

إن فقه الأولويات فقه قرآني؛ رتب الله فيه المصالح بعضها البعض، والمفاسد بعضها البعض، وهو فقه واقعي لما فيه من تقدير الأعمال وفق الزمان والمكان الذي يعيشهما الإنسان، وعلى اعتبار اللحظة التي يحياها المسلم، وهذه اللحظة ترتبط بالمقاصد من حيث ترتيبها في الخير والأهمية أو في المفسدة، حيث تقدم

¹ - أبو اسحاق الشاطبي: الموافقات في أصول الشريعة، 240/1.

² - المرجع السابق، 228 / 1.

الأمر الكبرى على الأمور الصغرى، وتدفع المفسد والمضار الكبرى على المفسد والمضار الصغرى، وهي تعيد بناء الإنسان وتركب ماهيته وفق تحولات الزمان الذي يتحول معه الوجود.

وفي مختلف الآيات حدد الله تعالى أن الأهم هو الإنسان وأن كل ما سخره فهو لصالح الإنسان من علوم وفنون وآيات كونية، كما أن أي شيء يسعى إلى فوات النفس أو تعطيلها حرماً وأزالها بالتحريم والتعطيل من المحرمات التي تدمر المجتمعات ومن الرذائل والفواحش والمنكرات والتي تسبب الأمراض والفتن الاجتماعية من الزنا والربا والخمر والقتل والسرقة، وكل ما يهدد الأمن المعرفي والروحي والاجتماعي والاقتصادي للإنسان، وللحفاظ على نسل ونفس الإنسان من الزوال والضياع، وعلماء الشرع قدموا قواعد في ذلك من مثل قولهم " حفظ الأبدان مقدم على حفظ الأديان"،

وأن الأمم التي ركزت على الاقتصاد في هذه اللحظات، انهارت مقوماتها الإنسانية حيث مجدت الربح والمادة على حساب الإنسان، لكن الدول التي تقدر مكانة الأفراد قامت بالحجر عليهم حفاظاً على أرواحهم التي هي أصل قيام الاستخلاف وقيام العمران، حيث تنازل الفرد على العبادات الجماعية في المساجد والمجامع الكبرى كالمسجد الحرام والمسجد النبوي والأقصى أخذاً الحيطة والحذر من الداء ومن الخوف من انتقاله عبر البلدان، وهذا المنع الذي قامت به المجتمعات للصلوات الجماعية في زمن كورونا لا يتناقض مع تعاليم الإسلام ولا يعني إلغاء أحكام الصلوات أو تجاوز الدين كما يعتقد البعض من المتشددون الذين يتمسكون بألفاظ الشريعة دون معانيها كما نسمع ونشاهد؛ بل إن هذا يعد من صميم المقاصد الشرعية وغاياتها الحضارية.

ما يدل على الرؤى الاستراتيجية التي يجسدها الوحي الكريم في كل المناسبات والأوقات، وتبعاً لذلك فمن الأولويات التي تحتاجها الأمة مستقبلاً أولوية العلم وإعادة التذكير بمركزيته في البناء الحضاري، من مراكز العلم والمعاهد الخاصة بالتجارب الطبية والحربية وتدريب الأولويات والتخزين للموارد مادية كانت أم بشرية، إلى وقت الحاجة لنفع البشر، ومن الأولويات الحضارية أيضاً، أولوية التكامل بين مجالات الحياة فعلى الأمة الإسلامية إعادة الاعتبار لهذا العلم والعمل على تطبيقه، بدءاً من تكامل علوم المعرفة والفكر، وتكامل الرؤى الفكرية والتربوية والاقتصادية والاجتماعية والبيئية والصناعية...، وتجاوز المقاربات التفكيكية والنظريات التشكيكية الغربية التي تسعى دوماً إلى فصل الدين عن الوجود، وقطع صلة عالم الشهادة عن عالم الغيب عبر سن قوانين ورؤى مادية فارغة الجوهر «فحوار الأنظمة المعرفية، في سياق الرؤية التوحيدية، هو الذي يوسع دائرة الفهم والوعي والتأويل، وينقل العقل من مستوى (الادراك العضيني)

إلى (الإدراك الاستبصاري الإحساني) الذي يقوم على الاستغفار، والاصطبار والخشوع والتدبر والتقوى¹.

إن هذا التكامل يسعى لإيجاد البديل الحضاري للخروج من المخلفات الحضارية والأزمات الإنسانية، كما أن الأولى يكمن في إعادة الاعتبار لمنظومة القيم وفلسفة الأخلاق، التي هي أساس الوجود الحضاري وذلك عبر تربية الناشئة في المجتمعات الإسلامية على رؤية التوحيد والإيمان والإخلاص والجد والاجتهاد والتفاني في العمل والعلم وتحقيق مبدأ الإنصاف وتكافؤ الفرص والمساواة والتنافس الجيد والإيجابي، كل هذه السبل كفيلة بالنجاح في المستقبل الحضاري، والرهان عليها قائم لتحقيق النهوض والتغيير والانخراط في التنمية الشاملة.

رابعاً: رؤية المقاصد والعلل الكونية

من أسس الاستمولوجيا التي تضمن الوجود البشري وتحفظ بقاءه على الأرض، الرؤية المقاصدية للوجود في الخطاب القرآني، فالرؤية القرآنية في حفظ المقاصد ورعاية المصالح الإنسانية في المعاش الوجودي والأخروي، تعتبر الجوهر الحضاري للإنسان للقيام بعملية الاستخلاف ومهمة الإعمار، « إن الشريعة الإسلامية نظام متكامل من الغايات والأفعال العاملة على تحقيقها، فأسسها الكونية المعبرة عن حكمة الصلاح، تقدم ذاتها بوصفها الخطوط العامة، التي تمكن من التنظير للمجتمع الإسلامي، لتدراً عنه آفات المفاصل التي سقطت فيها مجتمعات أخرى، إذ تمكن هذه الحكم من بناء أحكام ضابطة للسلوك، تكيف أوضاع المجتمع حسبما تقتضيه الغايات النهائية للشريعة، وبالنظر إلى البنية المعقولة للمقاصد، وانبنائه على مفهوم الفطرة السليمة²، بدءاً من الأساسات أو الكليات مروراً بالوسائل التي تحوم حول هذه الكليات.

والمقاصد سمة اتسم بها الإسلام على سائر الأديان، يقول الإمام أحمد بن تيمية رحمه الله في الفتاوى: «وإن الدين تحصيل الحسنات والمصالح وتعطيل السيئات والمفاسد³، والمقاصد منهج إلهي يتجدد دوماً وتبعاً للمتغيرات الحضارية، وأهميتها تكمن في ربط الواقع الإنساني بالدين، «فإن تفعيلها في مجالات

¹ - شراف شناف: من استمولوجيا التعقيد إلى معرفية التوحيد، العقل المعرفي التوحيدي المعاصر ومجاورة قلق الاستمولوجيا الغربية، نظرية المعرفة والسياق الكوني المعاصر التكييفات المرجعية، والمستلزمات العلمية، مجلة الرابطة المحمدية للعلماء، سلسلة ندوات علمية، رقم 08، شعبان 1436هـ / يونيو 2015م، الرباط، المغرب، ص 71.

² - نورة بوحناش: الاجتهاد وجدل الحداثة، كلمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1437هـ / 2016م، ص 208.

³ - أحمد بن تيمية: الفتاوى، اعتنى بها وخرج أحاديثه عامر الجزار، وأنوار البار، الجزء العاشر، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، الطبعة الثالثة، 1426هـ — 2005م، ص 212.

الحياة المختلفة ينتج أفقا إنسانيا رحيبا، على مستويات: الفرد والأسرة والمجتمع والأمة والإنسانية جمعاء.. إننا اليوم في حاجة ماسة لرفع راية الفكر المقاصدي في مرحلة دقيقة تمر بها الأمة، تريد فيها النهوض، وترنو فيها للوحدة والقوة والتماسك واستعادة دورها المنشود.. وتاريخنا كله يخبرنا بأن الفكر المقاصدي كان يستلهم ويستنزل في مثل هذه الفترات؛ فهو أحد الضمانات الكبيرة لخير أمتنا وخير الإنسانية جمعاء»¹.

والذين يهتمون هذا الجانب المهم والكبير في الوحي الرباني من التيارات الإسلامية مثل الظاهرية اللفظية، أو التيارات الحداثية التي تريد تجريد الدين من جوهره، لا يمكن لها أن تؤسس لخطاب إسلامي أو إنساني معاصر وفق إهمال المقاصد الشرعية، والتي هي الأساس المعرفي، إذ «إن القرآن يقدم نفسه قوة اقتراحية في سبيل الإصلاح، يدعو إلى المصالح كلها، وينهى عن المفاسد كلها، وقوته الاقتراحية هاته تبتدئ بالافتناع الذاتي، وتنعكس على سلوك الأفراد والجماعات والمؤسسات، ولا يقبل منهم تغيير أحوالهم إلا بمقدار ما تكون مناشطهم متحققة بصفتي الإخلاص والاتباع، إخلاص النية والقصد لله عز وجل، واتباع سنة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام»².

فالله سبحانه بين في القرآن أن هناك حالات تحتل فيها بعض المقاصد مكانة مهمة في حياة الإنسان، من بين هذه المقاصد.

مقصد الأمن:

وهو أساس بقاء الإنسان، وكلما انعدم الأمن في الأمم والشعوب يحس الإنسان بالرعب والخوف والهلع، وتتعدد معاني الأمن في القرآن، بتعدد حالات حاجة الإنسان إليه، واحتل مواضع ضمن سياقات مهمة، كونت نسقية حضارية ورؤية تكاملية وشاملة للقضايا، ومن ذلك الأمن الأول وهو الأمن من خوف والجوع، الذي هو أساس قيام العبادات والشعائر، قال الله تعالى مبينا أهميته: «فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ»³، وارتبط أيضا بالاجتهاد والاستنباط التي تعد من الآليات المعرفية والمنهجية التي تحفظ الدين من الجمود والتقليد، وتضمن له الحركية والتجديد لذلك قال الله تعالى: «وَإِذَا

¹- وصفي عاشور أبو زيد: رؤى مقاصدية في أحداث عصرية، دار المقاصد للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1439هـ / 2018م، ص 15.

²- محمد إقبال عروي: المقولات بين التعريف والتصريف، رؤوس أقلام .. لا رؤوس ألغام، نظرية المعرفة والسياق الكوني المعاصر التكييفات المرجعية، والمستلزمات العلمية، مجلة الرابطة المحمدية للعلماء، سلسلة ندوات علمية، رقم 08، شعبان 1436هـ / يونيو 2015م، ص 242.

جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا « [قريش الآيات: 3-4]،

وفي آية أخرى جاء مفهوم الأمن باعتباره المقصد الأسمى الذي يضمن للإنسان الحرية والاطمئنان؛ مقرونا بالإنفاق الاقتصادي والاجتماعي الحضاريين، وهو الأساس الذي يركز عليه الأنبياء في دعواتهم الناس إلى عبادة الله وتوحيده، قال الله تعالى: «وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّونَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَافِرٌ رَّحِيمٌ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ « [إبراهيم الآيات: 35-41].

والأمن فعل استراتيجي سبق إليه الأنبياء عليهم السلام باعتباره من المخططات الناجحة في تدبير الوضع البشري ووجوده الحضاري على الأرض، ويزكي هذا موقف يوسف عليه السلام الذي وظف امكانيات تجاوز المخاطر بفضل ما مكن الله له في التدبير والتمكين الإنساني، وهو الأمن الصادر من الحاكم أو الملك، ويكون من الدولة، وفيه عبرة على أن الدولة هي التي تضمن الأمن والسلم والحفظ من الجوع والخوف، هي دولة ناجحة،

كما أن الأمن مسؤولية كبيرة على عاتقها عبر تشريع المخططات الاقتصادية والتنموية وتوزيع الثروات بالقسط والعدل، قال الله تعالى: «فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ أَوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ « [يوسف الآية: 99] وفي التخطيط وحفظ الامانات في السياق العام لسورة يوسف قال الله تعالى: «وَقَالَ الْمَلِكُ انْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ « [يوسف الآيات: 54-56].

يجب أن يفهم الأمن في سياقات متعددة ومتنوعة وفق حالات ومقامات معرفية واجتماعية واقتصادية وسياسية، من الأمن المعرفي حماية وحدة الشعوب من التطرف والانغلاق الطائفي الناتج عن التعصب والتشدد المذهبي، والدعوة إلى الوعي المعرفي بالمبادئ الإنسانية التي من سماتها التواصل والتعارف والحوار، والحكمة في الفهم والتأويل الصحيح وقبول الرأي وتشريع القانون المعرفي العادل وممارسة الدين وفق وسطية واعتدال، ورفق ولين وحكمة، قال الله تعالى: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى

النَّاسِ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعَ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَعُوفٌ رَحِيمٌ» [البقرة: الآية 143] إن مع المسلمين بعضهم البعض، أو بين المسلمين وغير المسلمين وفق استراتيجيات قرآنية واضحة كالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالحسنى قال الله تعالى: «وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَالْهَذَا وَآلَهُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» [الروم: الآية 46]

ومن الرؤية الاستراتيجية التي سنها الله للبشرية في تنزيل الأمن المعرفي قبول الحوار والجدال المبنيين على الفهم السليم، وممارسة النقد والمنهج الاستمولوجي في دحض الأفكار اللاحادية التي تدمر أفكار وعقول المجتمعات الإسلامية، لذلك على الأمة الإسلامية العودة إلى الرؤية المعرفية القرآنية ومنهجيتها الاستمولوجية التي تحقق عالمية رسالة الختم ومصادقيتها وهيمنتها في زمن التحولات الحضارية انطلاقاً من النقد القرآني القائل: «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعْتُ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأَمِينَ ءَاسَلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بِصِيرُ الْعِبَادِ» [آل عمران: الآيات 18-19].

واستمداد مقومات الأمن المعرفي الحضاري الذي يمهد لباقي أنواع الأمن؛ مثل الأمن الاجتماعي والأمن الاقتصادي والأمن الروحي، التي تشكل مقومات الأمة الوسطية والذات الحضارية والوعي الوجودي؛ لأن الأمم تنطلق في البناء الحضاري من هذا النوع، وروح الثقافة القرآنية والاستراتيجية الأولى التي بنى عليها النبي صلى الله عليه وسلم الأمة هي كلمة " إقرأ " التي هي المفتاح الحضاري والمعرفي للوجود الإسلامي، وكلما كان الأمن المعرفي قويا كلما كانت القيم الإسلامية صحيحة وثابتة، حيث لا يصح إلا الصحيح، وما بني على باطل فهو باطل.

الرشد الحضاري:

معناه ملكة الفهم والوعي الفكري التي تمكن الإنسان من تدبير وإنجاز معارف واجتهادات وقوانين تيسر الطريق للإنسان في فهم طبيعة التحولات الحضارية والتوجه نحو الخير والإقبال على الفلاح، ومن ذلك أن تتصف مختلف الفنون العقلية والأنماط الفكرية من الفلسفة والعلم بهذه الصفة، حتى تهدي الإنسان إلى أقوم سبيل، « فهي تفتح كل يوم مجالات أوسع لإدراك عظمة الخلق والخالق، وما تزال تلك الآفاق تشكل مجالا هائلا للتأمل والتفكير الذي يولد المزيد من الاقتناعات التي تبعث الكثير من الطمأنينة في النفس،

وتعمق الإيمان في الذات، دون أن يغير ذلك الأمر شيئا من الثوابت المتعلقة بمحدودية الإنسان وإدراكه ومنطقه، إلى جانب عظمة الخلق والخالق، وخيرية غايته»¹.

ولقيمته اقترن في البنية القرآنية ببعض العبادات من ذلك الصيام قال الله تعالى: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ» [البقرة: الآية 186] «وقوله سبحانه "لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ"، يعني: يرشدون بالجمع بين الإيمان والإذعان لأوامر الله ونواهيه؛ لأنها جامعة لكل أسباب الخير والنجاح والفلاح في الدنيا والآخرة، فمن حققها حصل الرشد، ومن لم يحققها كان محروما من الرشد بقدر ما أضاعه منها.

والرشد هنا ضد الغي والفساد، كما قال تعالى في شأن الفراعنة الكافرين ومن قلدتهم من بعدهم "«سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ»» [الأعراف: الآية 146]»²، وهو صفة من صفات الأنبياء التي بواسطتها استطاعوا البناء الحضاري، فهذا ابراهيم عليه السلام قاد أمة برشده إلى الإيمان والتوحيد وأنقذها من الجهل الشرك، قال الله تعالى «وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ» [الأنبياء: الآية 50-51]

كما أنها صفة من صفات الأهلية الحضارية في حسن التصرف والتدبير الحضاري للقضايا الخاصة بتجاوز الأزمات، فالأمة الراشدة تتصرف بوعي حضاري في الوجود، قال الله تعالى: «وَابْتَغُوا الْيَتَامَى حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ» [النساء: الآية 6]. فالرشد القرآني منهج للفهم وحسن الاستغلال والتمكين والتكوين الفكري والعلمي والمعرفي في كل مجالات الحياة، ومن معاني الرشد الصلاح والإصلاح في جميع الأحوال السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، التي تتكون منها منظومات الدول.

¹ - عبد الحميد أبو سليمان: الإنسان بين شريعتين، ص 16 17.

² - عبد الرحمن بن محمد الدوسري: صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم، دار المغني للنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، 1425هـ/2004م، ص 176- 177.

الهدي الحضاري:

إن من مقاصد القرآن الكريم في الرؤية للحياة، ومن آلياته المعرفية التي شرعها للإنسان، فلسفة الهدى⁽¹⁾ والاهتداء، فالقرآن الكريم في كل الأوقات والأحوال يهدي الإنسانية إلى أحسن السبل وأقوم الطرق قال الله تعالى: «هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ» [آل عمران: الآية 138] كما أن المقصد من إنزال الكتب وبعثة الرسل وتحريم المحرمات وإباحة الطيبات وتشريع كل الأحكام، هو الهداية والإرشاد.

فما أوج البشرية اليوم إلى هذا المقصد الحضاري وإلى هذه الغاية، التي تعيد تأسيس وعي الإنسان بالمنهج الإلهي وبقيمته وإدراك أبعاده التي شرعها الله للخروج من الأزمات الاجتماعية والاقتصادية والبيئية والأخلاقية، فالله تعالى شرع هذه الرؤية الحضارية وبين قيمتها في سياق منهجية معرفية تكاملية وضمن مقامات متعددة والغاية منها هي تحقيق الوجود البشري عبر ممارسة الفعل الخلقي التعبدية والتربوي الاستخلافي.

ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر، قول الله تعالى: «سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ» [آل عمران الآيات: 133-140].

والبيان، أن القرآن الكريم وأثناء كل لحظة صعبة فيها شدائد ومحن يذكر بأهمية مثل هذه المقاصد، والسياق الذي جاء فيه ذكر الهدى هنا هو، سياق الدعوة إلى الإنفاق والاعراض عن الفواحش والأمر بالتأمل والتبصر من السنن الكونية وما مس الناس من القرح والأزمات التاريخية والنفسية التي تدل على أن السنة التي تحكم الكون هي سنة التداول، وما في الآيات من الحث على المسارعة في أسباب المغفرة والإنفاق من قبل ذوي أصحاب الأموال في عز الأزمات مثل هذه الأزمة التي عاشها العالم اليوم جراء هذا

¹ - يأتي تعريف الهدى على أنه: «بيان طريق الرشd وتمييزه من طريق الغي والهلاك، وبالتالي سلوك طريق الرشd وترك طريق الغي المهلك»، (عبد الرحمن بن محمد الدوسري: صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم، دار المغني للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1425هـ/2004م، المجلد الرابع، ص 316).

الوباء الخطير كوفيد 19، الذي اهتزت من خلاله الاقتصاديات الكبرى في العالم، وحبس الناس في ديارهم تحت الحجر الصحي، وأمام صمود الرؤية الأخلاقية للمسلمين من التضامن والإحساس بالأخوة الإيمانية وتبادل الإنفاق على المحتاجين والأعمال التطوعية لهيئات المجتمع المدني، خاصة في المجتمع المغربي الذي يستمد هذه الخاصية وهذه الصفات من الدين الإسلامي المتجذر في الوعي الحضاري للأمة المغربية، بالإضافة إلى التفاني في خدمة الصالح العام لكل الهيئات والأجهزة التي تتكون منها الدولة؛ كالجهاز الطبي الذي قدم نفسه وروحه فداء للوطن وخدمة له، والجهاز الأمني والتعليمي لحماية الأمن الروحي والمعرفي للإنسان المغربي، فهذا زمن تنزيل هذه القيم وهذه المقاصد العليا التي تنقذ البشرية من القرح والقنط.

ولأهمية الهدي فقد اقترن في السياق القرآني بالأمن والاستقرار الحضاري والنفسي للمجتمعات، ومن ذلك، قول الله تعالى: « قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » [البقرة الآية: 38] وأيضا قوله تعالى: « وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا » [الكهف الآيات: 54-55]

هناك معالم التوجيه الحضاري، لتزكية السلوك والنفس بالمقوم الإيماني، وكل ما يقع في الكون هو من باب الابتلاء والامتحان، الذي يحرك الإنسان نحو فعل الخير والدفع به نحو الفلاح، قال الله تعالى: « تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ » [الملك الآيات: 1-2] ورافق هذا الابتلاء الكدح الإنساني الذي هو المجهود الذي يقوم به الإنسان للعيش، لكي يثمر هذا الكدح الفلاح والخير، يجب أن يكون ذا قصد شرعي إيماني، قال الله تعالى: « يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَأْطَهُ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا وَيَصْلَى سَعِيرًا إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا » [الإنشاق: الآيات 6-12]

مقصد الانتفاع المادي والسمو والتزكي:

ومن استراتيجيات الوحي الرباني في عالم الماديات الاعتراف بأن أصل الإنسان والمخلوقات مادة وطين وماء، فهذا الاعتراف خطوة أولى على أن الجوانب المادية في التشكيل والبناء الحضاري وأداء الدور الاستخلافي من قبل الإنسان ينبني على الماديات التي هي جزء من الأساس ومن المواد والعناصر المهمة، لكن في التصور الإسلامي خاصة في عالم الإنسان يتم تزكيته بالرفع به إلى عالم الطهارة والسمو والتزكية ودرجة المعنويات التي تنتهي إلى الجوهر الحضاري، و« لانتشال الإنسان من هوة النسيان السحيقة، كما تعد أيضا استئنافا شغوفًا للبرامج الحضارية في تاريخ التغيير الثقافي، ومحاولة كبرى لجعل المفهومية

القرآنية مصدقة ومهيمنة على كافة المفاهيم المنبثقة عبر مسارات التاريخ المعرفي البشري، وربط العلاقات المعرفية الايجابية ببعضها البعض وتطهير الذهن البشري من شتى صنوف الوثنيات والشوفينيات. إنها استراتيجية لاستدعاء النمذجة القرآنية في كل تفاصيل الحياة وتوليد المعرفة الأخلاقية والأخلاق المعرفية التي تعقلن وتروحن علاقة الإنسان بالخالق والمخلوق»¹

ومن ذلك تركية الماديات المتعلقة بالشهوات والملذات بالعبادة والأحكام والقوانين، فشهوة الجنس التي هي أساس استمرار الجنس البشري تطعم في التصور الإسلامي بقانون الزواج الذي يثمر البنية الصالحة والثمرة الجميلة ومقصد الإسلام هنا هو الحفاظ على كلي النسل بالدرجة الأولى، وشهوة المال وحب الادخار محكومة بالضوابط الاقتصادية والمعاملات الصحيحة لكي لا يكون هناك إعتداء وفحش وتسلط.

ومن بين القوانين الضابطة لهذا الجانب حلية البيع والشراء والدين، وتحريم الربا والسرقة والغصب...، حفاظا على كلي المال. كل هذا من أجل النمو بالمادية إلى درجة الرقي الحضاري والسلم الاجتماعي والأمن الإنساني ودرء القيم السلبية المبنية على الصراع والعدوانية والتظالم والتجسس والقتل والافتراس الحضاري والنهب والاعتداء « وما يلحق بذلك الصراع من شرائع الغاب الطينية العدوانية المنحطة، حيث يطغى جانب القوة على جانب الحق في حياة الدواب وحياة الإنسان الضال، بصفته مظهرا من مظاهر الوجود المادي، وطبيعة الوجود المادي المنحط وما يماثل هذا الوجود من صراعات في نفس الإنسان بين الروح النورانية والحيوانية الطينية المادية، وبين التسامي والضلال، وما يجره الضلال من الإخلاق إلى الأرض، بعكس أشواق الروح وشريعة النور التي ترتقي بالنفس الإنسانية في معارج الحق ومعاني الخير»².

والعودة إلى تذكير البشرية بالقيم النبيلة النافعة في سائر الأوقات والأحوال من اليسر والرخاء إلى الضيق والشدة، فالنص الشرعي باعتباره مخاطبا البشرية جمعاء باعتبارها كلها أمة دعوة؛ حيث دعا إلى التمثل والتحلي بالفضائل والقيم التي تعيد التأسيس للمشارك الإنساني الذي تجتمع فيه البشرية قال الله تعالى: «قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» [الأعراف: الآية 158]

¹ - شراف شناف: من ابستمولوجيا التعقيد إلى معرفية التوحيد، العقل المعرفي التوحيدي المعاصر ومجاورة قلق الابستمولوجيا الغربية، نظرية المعرفة والسياق الكوني المعاصر التكيفات المرجعية، ص 63- 64.

² - عبد الحميد أبو سليمان: الإنسان بين شريعتين، 43- 44 .

خامسا: جهاز الاجتهاد والتجديد:

إن من بين المعطيات الحضارية والمقومات الذاتية التي يستند إليها وعي الأمة الإسلامية والتي سنّها القرآن الكريم واعتبرها استراتيجية تنزيلية للمقتضيات الإلهية على الواقع الإنساني، والتي تسهم في نقل النصوص من فضاء خاص إلى فضاء أكثر تطبيقا وممارسة، هي آليات التفعيل الحضاري والأجراً التطبيقية والتي تمنح الشريعة الإسلامية صلاحيتها لكل زمان ومكان، هما الاجتهاد والتجديد التي تعطي الشريعة أيضا الوراثة الحضارية بين أمم الأرض وشعوبها.

والاجتهاد بشقيه الإصلاحي والمقاصدي يحلر الوعي من التقليد وطغيان فكر التراث الذي دخل في سجالات فكرية مع الوحي في فترات متعددة وطويلة مضت حيث أنتجت وعيا بالزمان المؤسس للاجتهاد، إلى زمن إعادة فحص هذه المكونات لصياغة بعد ابستمولوجي حضاري، لمعرفة الذات معرفة حقيقية وربط ذلك بالمقوم العقدي الإيماني، والتعبدية العملي.

ذلك أن الاجتهاد والتجديد يمنحان الشريعة إمكانية الترتيل والتنزيل والتأويل، ويبين الوجهة الحضارية التي حددها الوحي للإجابة على أسئلة الواقع ومتغيراتها المتعددة. وهذه مسؤولية العقل الإسلامي الذي يسهم بشكل مستطاع في تحرير البشرية من الجاهلية الأخيرة، ويبدل الجهد في إيجاد الحلول وإزالة الصراع الحضاري القائم على الأرض من منطلق قيمي اجتهادي عملي وفي نفس الوقت يكون للأمة دور ومكانة من بين شعوب الأرض في المساهمة الأمنية من الخوف والجوع، « إن الإنسانية اليوم بما هي عليه من حيوانية مدمرة في أشد الحاجة من أي وقت مضى إلى هديها، مما يضع على كاهل الأمة الإسلامية مسؤولية أكبر من مجرد مسؤولية إصلاح أمرها واستعادة تمثلها لرسالة إسلامها، وذلك هو مسؤولية إصلاح الحضارة الإنسانية واستنقاذ شعوبها من بين أنياب شريعة الغاب وما تحمله في طواياها من آفاق أبعد وأخطر من الفساد والدمار، الذي إن ترك دون مراجعة وإصلاح فإنه حتما ستعود الإنسانية بروح حيوانية عنصرية عدوانية إلى الخراب والدمار»¹.

فالأساس الأول الذي بني عليه العيش في الحياة وقام عليه التكليف، هو أن الله تعالى خلق الخلق وعلمه كل شيء، قال الله تعالى: «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ » [البقرة: الآية 31 33]،

¹ - عبد الحميد أبو سليمان: الإنسان بين شريعتين، رؤية قرآنية في معرفة الذات ومعرفة الآخر، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 1323هـ/ 2003م، ص 75.

علم آدم الأسماء وعلم الإنسان البيان، والبيان من العلم، قال الله تعالى: «الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ» [الرحمن: الآيات 1-4] وتعليم العلم والبيان من تعليم الفنون والتجارب والمناهج المتعددة التي تستطيع إسعاد البشرية دون تركها تائهة في الحياة، قال الله تعالى: «مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا» [الإسراء: الآية 15]

استطاع القرآن الكريم بفعل رؤيته الحضارية والابستمولوجية المعرفية والمنهجية الشاملة أن يؤسس للإجابات الإنسانية للتحديات المعاصرة التي تفرضها الحداثة والعولمة من تعقيدات الحياة والتحول في منظومة القيم والأخلاق، وهذه مهمة وخاصية الشريعة الإسلامية، «ولا تجد في الشريعة حكما شرعيا لا يتقبله العقل، بل ولا بد من إعمال العقل والاجتهاد، وإلا كان ترك الاجتهاد تعطيلًا لنعمة العقل، وقد أراد الله ألا يهمل عقول أبناء الأمة، وبيان الفرق بين أمة الإيمان المتعقلة، وبين فئات الجهل الذين دأبوا على تعطيل أدوات المعرفة والحواس من سمع وبصر ونطق ووعي وقلب، فوقعوا في الكفر والتشبه بعبدة الأوثان وأقوام الجاهلية المتخلفة»¹.

الخاتمة:

بما أن القرآن يحوي في بنيته المعرفية والمنهجية قوانين الوجود البشري، ورؤى التدبير العمراني من فقه استراتيجي التي تعد المقاصد الشرعية وفقه الأولويات والاجتهاد والتجديد من معالمه. فإن العقل الإسلامي في كل مرحلة من مراحل البشرية على الأرض مطالب أن يحرك ذاته وفق هذه المعالم للإجابة المقتنة للأسئلة المعقدة، وما يصاحب ذلك من اهتزازات متعددة على فلسفة القيم والأخلاق والاقتصاد، وحتى على الوعي الحضاري لهدف إسعاد البشرية من القلق الأنطولوجي ومن التيه الحضاري.

النتائج:

كون الفقه الاستراتيجي في القرآن مادة واسعة، ومنهج كبير؛ لأن القرآن الكريم ربطه بحياة الإنسان انطلاقاً من:

- أن التدبير المحكم للموارد المادية والبشرية من الاستراتيجيات المهمة في بناء الحضارة، لذلك له القرآن مكانة مهمة.

¹ - الإجهاد الفقهي، أي دور وأي جديد، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 53، تنسيق محمد الروكي، الطبعة الأولى، 1996، ص 25.

- أكد القرآن الكريم على ضرورة تفعيل الرخص لتجاوز الشدائد والمخاطر، ولرفع المشقة عن المكلفين.
- يفهم فقه الأولويات وتقديم الأهم المناسب للمرحلة، على أنه فقه ترتيب الأعمال حسب حاجات الإنسان وضروراته الحياتية.
- كون رؤية المقاصد والعلل الكونية، تعتبر الجوهر الحضاري للإنسان للقيام بعملية الاستخلاف ومهمة الإعمار، لما فيها من حفظ مصالح العباد من كل أنواع الضرر.
- إن جهازي الاجتهاد والتجديد يساعدان على تجدد الفقه وربطه بواقع الإنسان عن طريق تجديد الفهم.

قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.
2. الاجتهاد الفقهي، أي دور وأي جديد، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 53، تنسيق محمد الروكي، الطبعة الأولى، السنة 1996.
3. استشراف المستقبل في الحديث النبوي، الياس بلكا كتاب الأمة، سلسلة دورية بدولة قطر، الطبعة الأولى، رجب 1429 هـ / غشت 2008م.
4. الإنسان بين شريعتين، رؤية قرآنية في معرفة الذات ومعرفة الآخر، عبد الحميد أبو سليمان، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، السنة 1323 هـ / 2003م.
5. سؤال التدبير، رؤى مقاصدية في الإصلاح المدني، مسفر بن علي القحطاني: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، السنة 2014.
6. صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم، عبد الرحمن بن محمد الدوسري، دار المغني للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، السنة 1425 هـ / 2004م.
7. الفتاوى، أحمد بن تيمية اعتنى بها وخرج أحاديثه عامر الجزار، وأنوار البار، الجزء العاشر، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، الطبعة الثالثة، السنة 1426 هـ — / 2005م.
8. مجلة الرابطة المحمدية للعلماء، سلسلة ندوات علمية، رقم 08، نظرية المعرفة والسياس الكوني المعاصر التكييفات المرجعية، والمستلزمات العلمية، شعبان 1436 هـ / يونيو 2015م، الرباط، المملكة المغربية.
9. المستقبل الحضاري للأمة الإسلامية، فؤاد بلمودن، دراسة في البدائل والتحديات، مركز ابن غازي للأبحاث والدراسات الاستراتيجية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، السنة 2019.
10. ملامح المستقبل، محمد بن حامد الأحمد، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الطبعة الثالثة، السنة 2010.

- 11.الموافقات في أصول الشريعة، أبو اسحاق الشاطبي، تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، الطبعة السنة 1428هـ / 2007م، الجزء الثاني،
- 12.نورة بوحناش: الاجتهاد وجدل الحداثة، كلمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1437هـ/ 2016م.
- 13.وصفي عاشور أبو زيد: رؤى مقاصدية في أحداث عصرية، دار المقاصد للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، السنة 1439هـ / 2018م.